

تأليف
محمد ناصر الدين الألباني

المكتب الإسلامي

الطبعة الرابعة
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

المكتب الاسلامي
بيروت: ص.ب ١١/٣٧٧١ - هاتف ٤٥٠٦٣٨ - برقياً: اسلاميا
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقياً: اسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . (يا أيهـا الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منـها زوجها وبث منها رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً)،(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

أما بعد ، فان أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

وقد قال الله عز وجل : (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً

وهو العزيز الغفور) . [٢] . وقـال : (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) [٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها »[١] .

ثم إنه « لما كان هديه ﷺ في الجنائز خير الهدي مخالفاً لهدي سائر الأمم ، مشتملاً على الاحسان للميت ، ومعاملته بما ينفعه في قبره ، ويوم معاده ، وعلى الاحسان الى أهله وأقاربـه ، وعلى إقامة عبودية الحي ، فيما يعامل بـه الميت ، وكان من هديه في الجنائز ، إقامة العبودية للرب تبارك وتعالى على أكمل الأحوال والاحسان إلى الميت ،وتجهيزه الى الله على أحسن أحواله وأفضلها ، ووقوفه ، ووقوف أصحابه صفوفاً يحمدون الله ، ويستغفرون له ويسألونه المغفرة والرحمة ، والتجاوز عنه ، ثم المشي بين يديه الى أن يودعـه حفرته ، ثم يقوم هو وأصحابه بين يديه على قبره ، سائلين له التثبيت أحوج مـا كان اليه . ثم يتعاهده بالزيارة الى قبره ، والسلام عليه ، والدعـاء له ، كما يتعاهد الحي صاحبه في دار الدنيا .

فأول ذلك ، تعـاهده في مرضه وتذكيره الآخرة ، وأمره

---

(١) حديث صحيح ، وهو مخرج في « تخريج فقـه السيرة للغزالي » (ص ٤٧٨ الطبعة الرابعة) ، وفي « الاحاديث الصحيحة » (رقم ٤٣٨) ولذلك أوردته في كتابي « صحيح الجـامع الصغير وزيادته » يسر الله تعالى إتمامه بمنه وفضله .

بالوصية والتوبة ، وأمر من حضره بتلقينه شهادة أن لا إله إلا الله لتكون آخر كلامه .

ثم النهي عن عـادة الأمم التي لا تؤمن بالبعث والنشور ، من لطم الخدود ، وشق الثياب ، وحلق الرؤوس ، ورفـع الصوت بالندب والنياحـة وتوابع ذلك . وسن الخشوع للميت ، والبكاء الذي لا صوت معه ، وحزن القلب ، وكان يفعل ذلك ، ويقول : « تدمع العين ، ويحزن القلب ، ولا نقول إلا ما يرضي الرب » .

وسن لأمته الحمد والاسترجاع ، والرضى عن الله ، ولم يكن ذلك منافياً لدمـع العين ، وحزن القلب ، ولذلك كان أرضى الخلق في قضائه وأعظمهم له حمـداً ، وبكى مع ذلك يوم مات ابنه إبراهيم ، رأفة منه ورحمة للولد ، ورقة عليـه ، والقلب ممتلىء بالرضى عن الله عز وجـل وشكره ، واللسان مشتغل بذكره وحمده » [١] .

ولما كان كثير من الناس اليوم بعيدين كل البعـد عن

---

(١) من كلام ابن القيم رحمه الله في « الفصل الاول من الجنائز » من « زاد المعاد » (١/١٩٧) وتمامه :

« ولما ضاق هذا المشهد، والجمع بين الامرين على بعض العارفين ، يوم مات ولده ، جعل يضحك ! فقيل له ، أتضحك في هذه الحالة ؟! فقال : ان الله تعالى قضى بقضاء ، فأحببت أن أرضى بقضائه . فأشكل هـذا على جماعة من أهل العلم، فقالوا كيف يبكي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات إبنه إبراهيم، وهو أرضى الخلق عن الله، ويبلغ الرضى بهذا العارف الى أن يضحك!فسمعت

هديه ﷺ في العبادات كلهـــا ، ومنهـــا (الجنائز) بسبب انصرافهم عن دراسة العلم ، ولا سيما عـــلم الحديث والسنة ، وانكبابهم على العلوم المادية ، والعمل لجمع المال ، فقد طلب مني بعض الأعزاء بمناسبة وفـاة إحدى قريباته يوم الجمعة الواقع في ١١ ربيـــع الآخر سنة ١٣٧٣هـ ، أن أضع رسالة مختصرة في «آداب الجنائز في الاسلام» ، ليقوم هو أو غيره بطبعها وتوزيعها على المجتمعين للتعزية في أيامهـــا المعتادة عندهم ، مغتنماً فرصة اجتماعهم لتعريفهم بسنة نبيهم ، حتى يستنوا بها ، ويهتدوا بهديها ويستنيروا بنورها . ومع أنني كنت قد باشرت تأليف بعض المصنفات الأخرى ، فقد وعدته خيراً ، لما في ذلك من التعاون على إحياء السنة ، وإماتة البدعة ، فسارعت الى تحقيق رغبته ، وإنجاز طلبته . ولكني ما كدت أشرع في ذلك ، حتى تبين لي أن الأمر أبعد من أن يتحقق بتلك السرعـــة ، وأوسع من أن يجمع في رسالة توزع على الناس في مثل تلك المناسبة ، ذلك لأن آداب الجنائز وأحكامها كثيرة جداً،وقسم كبير منها مما اختلفت فيه أقوال العلماء، وتضاربت حوله الآراء، فمنهم من يحرم شيئاً ، والآخر يبيحه، ومنهم من يوجب شيئاً، والآخر لا يجيزه، ومنهم

= شيخ الاسلام ابن تيمية يقول: هدي نبينا صلى الله عليه وسلم كان أكمل من هدي هذا العارف ، أعطى العبودية حقها ، فاتسع قلبه للرضى عن الله ورحمة الولد والرقة عليه ، فحمد الله ورضي عنه في قضائه ، وبكى رحمة ورأفة ، فحملته الرأفة على البكاء ، وعبوديته لله ، ومحبته لله على الرضى والحمد . وهذا العارف ضاق قلبه عن اجتماع الامرين ولم يتسع باطنه لشهودهما ، والقيام بهما ، فشغلته عبودية الرضى عن عبودية الرحمة والرأفة » .

من يراه سنة ، وآخر يراه بدعة ، وهكذا .... كما هو الشأن في كثير من المسائل الأخرى، في أكثر أبواب الشريعة ،مصداقاً لقول الله تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك) .

لذلك كان لا بد قبل كل شيء من جمع مفردات مسائل « الجنائز » ثم دراستها دراسة دقيقة ، وتتبع أدلة المختلف عليه منها ، ونقدها على ضوء علمي « أصول الحديث » و « أصول الفقه » ، واختيار الراجح منها ، دون أي تحيز لمذهب معين ، أو تأثر بعادة سيطرت حتى صارت كأنها دين يجب أن يتبع !

ومما لا يخفى على أهل العلم الذين مارسوا التأليف أن تحقيق مثل هذا العمل ، يتطلب سعياً حثيثاً ، وجهداً بليغاً وصبراً جميلاً وزمناً مديداً، وبعد إنجازه يمكن تأليف الرسالة المطلوبة بصورة تطمئن اليها النفس وينشرح لها الصدر ، ويعظم بها النفع .

لذلك فقد ذكرت للأخ المشار اليه خلاصة هذا معتذراً،فقبل عذري جزاه الله خيراً ، ولكنه عاد يطلب مني الشروع في هذا العمل ، وحضني عليه ، وبالغ فيه راجياً منه خيراً كثيراً .

فاستخرت الله تعالى ، وانكببت على الدراسة ، والمراجعة ، قرابة ثلاثة أشهر،أعمل فيها ليلاً نهاراً، إلا ما لابد منه من العمل في مهنتي ، والنوم الذي لا غنى عنه لراحة جسمي ، حتى تمكنت من إعداد هذا الكتاب الذي بين يدي القارىء الكريم . ولقد كان يتطلب من الوقت أكثر مما قدر له ، لولا أن قسماً كبيراًمن مسائله وأحاديثه قد كان محققاً عندي في بعض تصانيفي،ولذلك تراني أحيل عليها في بعض المواطن منه .

ولقد حاولت أن أستقصي فيه كل ما له علاقــة بموضوعه من المسائل التي لها دليل من الكتاب والسنة ، وأعرضت عما كان مستنده مجرد الرأي ، لأن الموضوع تعبـــدي محض ، لا مجال للقياس فيه ، إلا ما لا بد منه من القياس الجلي .

وأوردت في أوله بعض الفصول والمسائل التي لا تذكر عادة في « باب الجنازة » من عامة كتب الفقه، مثل الوصية، وعلامات حسن الخاتمة ، ونحو ذلك، وبعضه قد لا يذكر فيها أصلا ، مثل الفصل (٥ و ٨ و ٩) ، والمسألة (٣٠) ، والفقرة (ج و د) من المسألة (٧٤) والمسألة (٩٨ و٩٩ و١٠٥ و١٠٧ و١١٣ و١٢٥) والفقرة (٧) من المسألة (١٢٨) مع أهميتها وكثرة ابتلاء الناس بها ، وتواتر الأحاديث فيها ، والفقرة (١٠) منها .

واستوحيت ترتيبه من الواقع،فافتتحته بفصل :

(١ — مايجب على المريض) من الرضى بالقضاء والصبر على القدر وترك تمني الموت وأداء الحقوق . والوصيـــة والاشهاد عليها ...

ثم : (٢ — تلقين المحتضر) وما على من حضره من التلقين وأمره بالشهادة .

ثم (٣ — ما على الحاضرين بعد موته) من غمض عينيه . والدعاء له وتغطيته . والتعجيل بتجهيزه . والمبادرة لقضاء دينه .

ثم (٤ — مـا يجوز للحاضرين وغيرهم) من كشف وجهه وتقبيله والبكاء عليه .

ثم (٥ – ما يجب على أقارب الميت) من الصبر والرضا بالقدر، والاسترجاع، وإحداد المرأة على زوجها .

ثم (٦ – ما يحرم عليهم) من النياحة وضرب الخدود وشق الجيوب، وغير ذلك كنعيه على المنائر .

ثم (٧ – النعي الجائز) .

ثم (٨ – علامات حسن الخاتمة) .

ثم (٩ – ثناء الناس على الميت) .

ثم (١٠ – غسل الميت) .وهكذا الى الدفن وزيارة القبور.

وختمته بفصل خاص ببدع الجنائز . استوعبت فيه جميع ما وقفت عليه من البدع منصوصاً عليه في كتاب من كتب أهل العلم قديماً وحديثاً. عازياً كل بدعة الى موضعها من كتبهم.وما لم يعز اليهم . فهو مما يحكم المنهج العلمي في أصول البدع أنه منها . ولكني لم أر من نص منهم عليها . وكثير منها من بدع العصر الحاضر .

وإني لأسأل الله تبارك وتعالى . أن ينفع بهذا الكتاب كل من قرأه . ويكتب لي أجره. ومثله لمن كان سبب تأليفه . ولمن قام على طبعه . إنه سميع مجيب .

دمشق ٢٤ محرم سنة ١٣٨٨ هـ [١] .

محمد ناصر الدين الألباني

---

(١) وكان منتظراً صدور الكتاب في ١٣٨٥ بعد ان سبكت الحروف واعد للطبع ولكن توقف مطابع المكتب الاسلامي من ذي القعدة ١٣٨٤ حتى منتصف ربيع الاول ١٣٨٨ حال دون ذلك . والله المستعان على كل حال . الناشر